الفصل الأول:
الاختيار على أساس الدين والأخلاق الفاضلة

يعتبر الاختيار على أساس الدين والأخلاق الفاضلة هو أول وأهم الركائز والأسس. إذ يترتب على النجاح والتوفيق فيه، نجاح وتوفيق في اختيار بقية الأسس والركائز لأن كل ما بعده من الأسس مدعوم به ومترتب عليه. وقد وضح القرآن الكريم، كما وضحت السنة النبوية المباركة هذا الاختيار وأهميته وكيفيته.

وإذا بدأنا بالقرآن الكريم، نجد قول الحق تبارك وتعالى:{وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾} [البقرة: ٢٢١]. فقد نهى الله جل جلاله المؤمنين، وهو الأعلم بما ينفعهم وما يضرهم، عن التزوج من المشركات حتى لو أعجبهم حسنهن الفاتن. لأنهن من قوم يدعون إلى النار ولا يدينون دين الحق الذي يدعو إلى الجنة. فهن - وهن على الشرك - يتصرفن تبعا لأهوائهن في كل الأمور والأحوال. والهوى هو النفس، والنفس أمارة بالسوء إلا من رحم الله. فلا يجوز الاقتران بهن والتزوج منهن إلا إذا آمنَّ بالله رب العالمين. كما نهى الله عز وجل نساء وبنات المؤمنين عن التزوج من رجال وشباب المشركين إلا إذا آمنوا. فالأمَة المؤمنة خير للمؤمن حتى لو أعجبته المشركة بجمالها. والعبد المؤمن خير للمؤمنة حتى لو أعجبها المشرك برجولته أو شبابه، لأن المشركين - وهم على الشرك - بعيدون دائما عن الحق ويجندون

أنفسهم ومن تبعهم لخدمة الشيطان وحزبه. يدعونهم إلى الرذائل ويصرفونهم عن المكرمات والأعمال الصالحة التي تنفعهم في دينهم ودنياهم. فسيكونون إذن بطبيعة أحوالهم الشركية شرا مستطيرا على زوجاتهم من المسلمات، يجذبونهن دائما إلى طريق الضلال والخسران.

ونجد أيضا قول ربنا عز وجل:{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} [الروم: ٢١]. فقد تضمنت هذه الآية الكريمة أهم أهداف الزواج السعيد الناتج عن اختيار موفق على أساس الدين والأخلاق الكريمة. فالسكن والمودة والرحمة كلها أمور لا يمكن أن تتحقق لو لم تتوفر لها عقيدة إسلامية صلبة وأخلاق إسلامية عالية، تؤدى إلى الإيمان بالله القادر على كل شيء وتستمد منه العون على توفر الأمن والسعادة لكل من الطرفين. يقول الحكيم العليم سبحانه:{ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } [الكهف: ٤٦]. ويقول أصدق القائلين جل شأنه{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾} [المنافقون: ٩]. ويقول المولى الكريم سبحانه:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢]. فهذا الاختيار وهذه الركيزة القائمة على اختيار كل من الزوجين للآخر على أساس الدين والأخلاق الحميدة - هبة من الله الكريم يهبها من يشاء من عباده الصالحين؛ ليجعل حياتهم في الدنيا مع قِصَرِها سعيدة هنيئة مملوءة بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام. فالمؤمنون أحق بالأمن والسعادة من الكفار والمشركين، ما لم يخلطوا إيمانهم بشرك. والأمن يعنى أول ما يعنى الاستقرار والسعادة. واستنادا إلى هذه

الركيزة ومن زاوية الأخلاق الكريمة التي ينبغى أن يتمتع بها الرجل والمرأة أو البنت المقبلان على الزواج - يمتنع أن يتزوج الزانى الذي سمح لنفسه بانتهاك أعراض المسلمات من النساء والبنات الفضليات، وكذلك يمتنع على المرأة أو البنت الزانية التي سمحت لنفسها بتلويث عرضها وعرض أسرتها أن تتزوج بالرجال الأفاضل.. يقول الحق تبارك وتعالى:{ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾} [النور: ٣].

فإذا انتقلنا إلى السنة النبوية الكريمة الحبيبة إلى نفوس المسلمين والمسلمات - نجدها قد وضحت وفصلت هذا الأساس تفصيلا مُعِيناعلى حسن الاختيار موصلا إلى السعادة المستهدفة.. ومن ذلك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها الخطاب إلى آباء البنات وأولياء أمورهن حيث قال:♂**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**ـــ [1]. فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحذر الآباء وأولياء أمور البنات من التراخى والتردد إذا تقدم لبناتهم من يرضون عن دينه وخُلقه. فالواجب عليهم في هذه الحالة أن يوافقوا ويباركوا هذا العرض بالزواج ما داموا قد تثبتوا من تمسك المتقدم بآداب الدين الإسلامى وتعاليمه ومن تحليه بالأخلاق الكريمة. إذ أن التردد والتراخى من العديد من آباء البنات وأولياء أمورهن في هذه الحالة - قد يؤدى إلى إحداث فتنة وفساد بين الشباب والفتيات على نطاق واسع. وهذا ما لا يرضاه الإسلام.. ومن ذلك أيضا قول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم مخاطبا المقبلين على الزواج من الشباب والرجال ومن

(1) رواه الترمذى بسنده عن أبى حاتم المزنى. ص61من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

يساعدهم في الاختيار: ♂تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك♀ [1]. فهذا الحديث الشريف يحث الشباب وكل من يريدون اختيار زوجاتهم على التمسك بذات الدين أى المتدينة فهى وحدها - بدينها وأخلاقها الكريمة - القادرة على إقامة وتكوين أسرة صالحة سعيدة. ولا يمنع الإسلام أن يكون مع الدين والأخلاق الفاضلة حسب أو جمال أو مال أو أن تجتمع كلها. ولكن يبقى أن يكون الدين والأخلاق الفاضلة هما الأساس في الاختيار...

ولا شك أن الزوج المتمسك بدينه الإسلامى، والحريص على تنفيذ ما به من التزامات نافعة في مجال حقوق وواجبات الأزواج والزوجات، وكذلك الزوجة أو المتجهة إلى الزواج والمتمسكة بدينها الإسلامى وما به من التزامات وتوجيهات نافعة للأزواج والزوجات - لابد أن يكونا من ذوى وذوات الأخلاق الكريمة. ويبشر الله عز وجل هذين الصنفين من الرجال والنساء ممن يتمسكون بدينهم ويتصفون بأخلاق إسلامية عالية - إذا تزوجوا أو اتجهوا إلى الزواج - بالفوز والفلاح في الدارين. فيقول سبحانه وتعالى: {إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾} [الأحزاب: ٣٥].

(1) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ص61من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى - حرف التاء - تربت يداك: أى التصقت بالتراب كناية عن الفقر الذي يلحق به إذا تزوج من غير ذات الدين وترك المتدينة.

والواضح من تفسير هذه الآية الكريمة أن هذا الأجر العظيم الذي ثبت لكل من اتصف بالصفات الكريمة الواردة في الآية - لا يختص فقط بالآخرة، وإنما يشمل الدنيا أيضا. فيكون من شأن هؤلاء المتخلقين بتلك الأخلاق العالية الرفيعة - التوفيق في كل مراحل ومجريات حياتهم الدنيا، ماداموا ملتزمين بتلك الأخلاق الفاضلة التي توصل إلى رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وينطبق ذلك على الرجال والنساء على حد سواء..

وتحذرنا كتب السنة من غير الفضليات من النساء والبنات، ومن الارتباط بهن بزواج أو غيره. وذلك لعدم التزامهن بما توجبه الأخلاق الفاضلة ومبادئ الدين والتوجيهات الإسلامية - في التعامل مع أزواجهن. وقد حُكِيَ أن السائح الأزدى لقى إلياس عليه السلام في سياحته، فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل - وهو البعد والانصراف عن الزواج والنساء، ثم قال: " لا تنكح أربعا: المختلِعة، والمبارية، والعاهرة، والناشز " [1] وبالنظر في المعنى المراد من تلك الأربعة التي نهى إلياس عليه السلام السائح الأزدى عن الزواج منهن - نجد أنهن من ذوات الأخلاق الوضيعة، التي لا يرضى عنها الإسلام ولا يقرها بل يحذر منها.. فالمختلِعة هى التي تطلب خلع نفسها من الارتباط بزوجها في كل وقت بلا سبب موجب لذلك الخلع شرعا. فالخلاف بين الزوجين متوقع ولا يكون الخلاص منه بالخلع بلا ضرر واضح بَيِّن.. والمبارية هى التي تستعرض لزوجها غيرها ممن تعرفه من النساء، وتفخر بهن أمامه، وتتخذهن أمثلة للكمال الأنثوى. وتذكر له ما يمتلكن من متع الدنيا الزائلة لتشترى منها

(1) ص62من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت يونيو1984م.

النصيب الأكبر؛ مما ينفر منها زوجها الصالح التقى.. والعاهرة هى الفاسقة، التي تخرج بأقوالها وأفعالها الخبيثة عن طاعة الله تعالى ورسوله الكريم. كما أنها عادة تكون معروفة ومشهورة بخليل وخدن، عكس ما تفعله النساء الفضليات العفيفات من ملك اليمين اللاتى يقول الله عز وجل فيهن:{فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ} [النساء: ٢٥] الآية.. يقول ابن عباس: " والخدن هو الصديق للمرأة يزنى بها سرا " [1].. أما الناشز فهى التي تنكر حق زوجها وتتعالى عليه دائما بالقول والفعل. وتتمرد عليه ولا تطيعه. ولا تنفذ ما أمرتها به الشريعة الإسلامية تجاهه. ومن ذلك العرض يتضح أن الأربعة التي تحدث عنهن إلياس عليه السلام يتصفن بالأخلاق المنفرة الوضيعة التي لا تراعى فيها حقوق الزوج التي حث عليها الإسلام. ومن ثم فقد نهى السائحَ الأزدى عن الارتباط بأيهن كزوجة.

وفى ضرورة التمسك بحسن خلق الزوجة ينهى بعض العرب عن الزواج من ست من النساء فيقول: " ولا تنكحوا من النساء ستا: لا أنَّانة، ولا منَّانة، ولا حنَّانة، ولا تنكحوا حَدَّاقة ولا برَّاقة ولا شَدَّاقَة " [2]. وتلك الأصناف الست من النساء لا يتصفن بأخلاق حميدة: فالأنانة، كثيرة الأنين والشكوى تدعى المرض وتعصب رأسها كثيرا حتى تظهر بمظهر المريضة لمن لا يعرفها. وربما تشتكى زوجها لمن لا يعرفه ولا يقدره. والمنّانة، تمن على زوجها

(1) ص 91 من القسم الثاني من كتاب صفوة التفاسير الطبعة الأولى، الدكتور محمد على الصابوني، تفسير الآية 25 من سورة النساء.

(2) ص61من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت1984م وص53من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى - الطبعة الثانية، يوليو1986م.

دائما فتذكره بأنها فعلت من أجله الكثير، ولا تذكر شيئا من فضائله وأفضاله عليها. والحنَّانة، تحن إلى زوج جديد، تريد التغيير، ولا تقنع بالزوج الذي جعله الله تعالى من نصيبها رغم صلاحه. وقد تحن إلى ولدها من زوج آخر فتثير غضب الزوج الصالح الحالى. والحدَّاقة، تتطلع ببصرها إلى كل شيء وتشتهى تملكه، ولا تقنع بما وفره لها زوجها الصالح، الذي قد لا يستطيع بإمكانياته أن يوفر لها كل ما تشتهيه، فهى كالمبارية السابق ذكرها.. والبرَّاقة، تقضى نهارها في تزيين وجهها حتى يلفت نظر المتطلع إليها، ويكون له بريق يجذب إليها الرجال. أما الشدَّاقة، فهى كثيرة الكلام بغير حق أو فائدة، متشككة في كل شيء وتحاول أن تجعل غيرها يشك في كل شيء. وهى بذلك لا تقبل شيئا ولا تثق في أحد، وتكون مصدر قلق لمن تتزوجه..

والرجل أيضا إذا اتصف بإحدى الصفات العشر السابقة، فإنه يكون غير مرغوب فيه من النساء الصالحات. والصفة الغالبة على الرجال غير المتمسكين بتعاليم الإسلام وغير المتمتعين بالأخلاق الكريمة - هى الفسوق. فإذا كانت الفاسقة غير مرغوب فيها لما يغلب عليها من عدم التمسك بالدين وعدم التخلق بالأخلاق الفاضلة، فكذلك الرجل الفاسق يكون غير مرغوب فيه من النساء. فالولى أو الأب الذي يزوج ابنته من رجل فاسق يكون في مرتبة القاطع لرحمها؛ ذلك لأن الولى أو الأب يغلب عليهما شرعا وواقعا العمل لمصلحة ابنتهما وعدم تعريضها لحياة شقية عن طريق الزواج برجل لا يحب الارتباط والعمل بمبادئ الدين الإسلامى المحافظ على حقوق وواجبات الزوج والزوجة، ولا يتمتع بأخلاق حميدة. فهو إذن فاسق. وسوف يحاول أن يجعل امرأته فاسقة. وهكذا يكون الولى أو الأب

الذي يفعل ذلك، قد حول ابنته إلى امرأة فاسقة. وتلك جريمة كبرى في حق الابنة. فالإسلام يدعو إلى تكريم النساء والبنات. والبنات أمانة في عنق الآباء ومن يرعاهن من أقرب الأقارب. وقد نبه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال: ♂**من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها**♂ (1).

وهكذا تحرص السنة النبوية الكريمة كما يحرص القرآن الكريم على بيان أن الاختيار الصحيح الموصل إلى السعادة - يكون دائما على أساس الدين والأخلاق الفاضلة الكريمة، سواء بالنسبة للزوج أو الزوجة. وهذا التمسك بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف والأخلاق العالية الرفيعة في الاختيار - يسهل الوصول والتنعم بكل ما يوصل إلى السعادة، ويعنى أن النظر في بقية الركائز والأسس الموصلة إلى السعادة في الزواج - يكون أيضا من زاوية دينية وعلى أساس من الأخلاق الإسلامية الرفيعة؛ حتى ينعم الطرفان بالاختيار الناجح الصحيح ويسعدان به...

* * *

(1) ضعفه البعض وصححه البعض ووصفه البعض بأنه موضوع. ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبى بإسناد صحيح. ص70 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م.